

روح المعاني

وقرأ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تسلمون بفتح التاء واللام من السلامة أي تشكرون فتسلمون من العذاب أو تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل : تسلمون من الجراح بلبس تلك السراويل ولا بأس أن يفسر ذلك بالسلامة من الآفات مطلقا ليشمل آفة الحر والبرد والأقرب إلى معنى قراءة الجمهور التفسير الثاني .

هذا وفي بعض الآثار أن أعرابيا سمع قوله تعالى : والله جعل لكم من بيوتكم سكنا إلى آخر الآيتين فقال عند كل نعمة : اللهم نعم فلما سمع قوله سبحانه : لعلمكم تسلمون اللهم هذا فلا فنزلت فإن تولوا فعل ماضي على طريقة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة وتوجيه الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلياً له أي فإن داموا على التولي والإعراض وعدم قبول ما ألقى إليهم من البينات فأنما عليك البلاغ المبين .

82 .

- فلا يضرك لأن وظيفتك هي البلاغ الموضح أو الواضح وقد فعلته بما لا مزيد عليه فهو من باب وضع السبب موضع المسبب وقال ابن عطية : تقدير المعنى إن أعرضوا فليست بقادر على خلق الإيمان في قلوبهم وإنما عليك البلاغ لا خلق الإيمان وجوز أن يكون تولوا مضارعا حذفت إحدى تاءيه وأصله تتولوا فلا التفات لكن قيل عليه : إنه لا يظهر ارتباط الجزاء بالشرط إلا بتكلف ولذا لم يلتفت إليه بعض المحققين وفي التعبير بصيغة التفعيل إشارة كما قيل إلى الفطرة الأولى داعية إلى الإقبال على الله تعالى والإعراض لا يكون إلا بنوع تكلف ومعالجة يعرفون نعمته استئناف لبيان أن تولي المشركين وإعراضهم عن الإسلام ليس لعدم معرفتهم نعمة الله سبحانه أصلاً فإنهم يعرفونها أنها من الله تعالى ثم ينكرونها بأفعالهم حيث لم يفرّدوا منعها بالعبادة فكأنهم لم يعبدوه سبحانه أصلاً وذلك كفران منزل منزلة الإنكار . وأخرج ابن جرير وغيره عن مجاهد أنه قال : إنكارهم إياها قولهم : ورثناها من آبائنا وأخرج هو وغيره أيضاً عن عون بن عبد الله أنه قال : إنكارهم إياها أن يقول الرجل : لو لا فلان أصابني كذا وكذا ولو لا فلان لم أصب كذا وكذا وفي لفظ إنكارها إضافتها إلى الأسباب وقيل : قولهم هي بشفاعه آلهتهم عند الله تعالى وحكى صاحب الغنيان يعرفونها في الشدة ثم ينكرونها في الرخاء وقيل : يعرفونها بقلوبهم ثم ينكرونها بالسنتهم .

وأخرج ابن المنذر وغيره عن السدي أنه قال النعمة هنا محمد صلى الله عليه وسلم ورجح ذلك الطبري أي يعرفون أنه عبيد الله نبي بالمعجزات ثم ينكرون ذلك ويجحدونه عنادا وفي لفظ ابن أبي حاتم أنه قال هذا في حديث أبي جهل والأخنس حين سأله الأخنس أبا جهل عن رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : هو نبي .

ومعنى ثم الإستبعاد الإنكار بعد المعرفة لن حق من عرف النعمة الإعتراف بها وأداء حقها لا إنكارها وإسناد المعرفة والإنكار المتفرع عليها إلى ضمير المشركين على الإطلاق من باب إسناد حال البعض إلى الكل فإن بعضهم ليسوا كذلك كما هو ظاهر قوله سبحانه وأكثرهم الكافرون .

. 83

- أي المنكرون بقلوبهم غير المعترفين بما ذكر والحكم عليهم بمطلق الكفر المؤذن بالكمال من حيث الكمية لا ينافي كمال الفرقة الأولى من حيث الكيفية كذا قيل وجوز أن يكون الإسناد السالف على ظاهره والمراد أن أكثرهم المصرون الثابتون على كفرهم إلى يوم يلقونه فالتعبير بالأكثر لعلمه تعالى أن منهم من يؤمن وقيل : المعنى وأكثرهم الجاحدون عنادا والتعبير بالأكثر إما لأن بعضهم لم يعرف الحق لنقصان عقله وعدم اهتدائه إليه أو لعدم نظره في الأدلة نظرا يؤدي